

طرف عن عُمان

تحت هذا العنوان سبق لنا مقال نشرناه في العدد السابع من مجلة كاظمة التي كان يصدرها الأستاذ الكبير (السقاف) وقد ترددت فيه كلمة غافري وهنائي، ووعدنا في ختامه أن تأتي بليّضاح عن هاتين الكلمتين اللتين يحملان اسم الغافري والهنائي لجميع قبائل عمان، ولما أن سدت تلك المجلة انقطع سبب الاتصال بذلك المقال، ونعود الآن فنقول أن بني غافر الذين منهم محمد بن ناصر الغافري رأس هذه الدعوة يتون بنسبهم (كما ذكره العلامة الشيخ عبد الله السالمى في تحفة الأعيان) إلى أسامة بن لؤى بن غالب من قريش، وقريش سنام مضر ودعامة نزار، وأن الهنانيين الذين منهم خلف بن مبارك بالقصير، والمناوئى لمحمد بن ناصر ينتمون إلى عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي، وأن محمداً هذا وخلفاً كانا في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر للهجرة، وكان كل من تعصب لمحمد بن ناصر من القبائل، سُمى غافرياً وكذلك كل من انحاز إلى خلف بن مبارك سُمى هنائياً، وأن في كثير من قبائل بني غافر التي تحمل اسم الزارى، قبائل وفيرة العدد من القبائل اليمنية كبنى قتب في الشمال، وبنى جنب في الجنوب وأن الأمير الكبير سليمان بن حمير النهانى حاكم بلاد الجبل الأخضر اليوم وغيره من منطقة الظاهرة في عمان، قحطاني الأصل، غافري النزعة. كما أن في القبائل الهنائية كثيراً من القبائل الزارية كبنى رواحة من غطفان، وبنى ذهل من شيدان وغيرها.

وربما خالفنا من له اطلاع ودراية بأخبار عمان وقال أن الدعوة الغافرية الهنائية ليست لها علاقة بالدعوة الزارية اليمنية، لوجود هؤلاء بهؤلاء وبالعكس. غير أن هذا ليس بالدليل الواضح، وحجتنا أنه كان في ذلك الوقت وقبله في عمان بلدتان، واحدة تدعى نزار فيها الغافيون الذين يتسمون بسمة الزاريين، والثانية تدعى يمن وفيها الهنانيون الذين يحملون اسم اليمنيين.

وكثيراً ما كان يحمل الشعر العامى اسم يمن ونزار، وأن قصيدة راشد بن راشد الحميري الهنائي العامية لشاهد صدق على ما نقول، وإلى القارىء بعض أبياتها:

استارق جفنى وأبعد الهن نوى
عن العين مالدات الأشياء بكارها
فمن حادث يلنى ومن عظم ما مضى
من الوقت وأيام شديده مدارها
على الحلف جن ابها ديون غوادر
بالأشرار تصبح كل يوم مغارها
ألا وين قومى فرق الله شملهم
جيلة ياها الجفنا من اكبارها
هل الجود والماجود والحرب والجسا
يمانية نذرى بها عن نزارها
وأن قوله يمانية البيت يعطينا في ذلك الشاهد القاطع على صحة ما نقول. ولقد سمعت من صديق الأستاذ احمد بن سلطان السليم منذ عدة سنين أنه زار المرحوم الشيخ عيسى بن صالح الحارثي زعيم الهنانيين في الشرقية (من عمان)، وجرى بينهما البحث وامتد الكلام إلى ذكر القبائل في عمان ونجد، واتصل الحديث، والحديث شجون، إلى ذكر آل الرشيد والقبائل الشعرية، فقال الشيخ أن آل رشيد وقومهم من شمر هنائية لأنهم من قبيلة طيء وطيء من قحطان.

فانظر مبلغ العصبية هنا من لدن الشيخ عيسى رحمه الله، وكان على جانب كبير من التقى والورع وكذلك محدثي الأستاذ، فإنه ساق هذا الخبر وهو غفور بما سمعه ذلك الوقت من الشيخ، لأنه من قبيلة بنى ياسر زعيمة الهنانيين في شمال عمان. بيد أنه لا يرى رأى من أن الغافرية الهنائية هي النزعة الزارية اليمنية، وحجته ما سقناه قبل هذا من دخول بعض الزاريين في الهنانيين وبالعكس، إلا أن قصيدة راشد بن راشد الحميري وغيره من الشعراء، وما رواه الأستاذ نفسه عن الشيخ عيسى بن صالح من جذبه آل الرشيد وقومهم الشمريين في صف الهنانيين لكونهم من طيء وطيء من اليمن، يثبت مذهبنا إليه من أن الدعوة الغافرية والهنسائية هي نفس الدعوة الزارية اليمنية، ولا عبرة في من اندمج بينهما من الحيين.

واذكر إننى قرأت في تحفة الأعيان لعلامة عمان السالمى،

تلك الدعوة التي هدت أركان الدولة العربية في عنفوان مجدها ، وأنهكت جسم الامبراطورية الأموية ثم قتلها في شرخ شبابها ، وقلصت ظل ممتلكاتها البعيدة المدى . ولا بأس من ايراد شواهد من التاريخ عما فعلته تلك الدعوة المشثومة في العرب من تفرق كلمة ، وذهاب ملك : لعل من يطالع عليها من زعماء قومنا في عمان يكون له منها مردجر ، فيقطع عنها أو يخفف على الأقل منها . كيف لا وأنها الدعوة البغيضة التي قضى عليها سيف العرب ، وباني مجدهم ، ومقدمهم من شتات الفرقة ، إلى كنف الاجتماع والوحدة . ولقد كان (ص) حريصاً على أن لا يسمعها إذ رخص عنها نفوس العرب رخصاً وقال عنها أن هذه الدعوة متنتة ، فايأى ودعوى الجاهلية ، ومن سمعتموه يقولها بعد هذه المرة فاشدخوه بالسوف . . .

ولمغت هذه الدعوة حسان بن ثابت وهو ممن لا يشك في إسلامه ، ولكن العصبية والنخوة الجاهلية حدثاه على أن قال :
أمي الحلاب قد عزوا وقد كثروا

وابن الفريعة أمى بيضة البلد
ولعى بقوله الجلايب المهاجرين كما نزه المنافقون من
أهل المدينة . وابن الفريعة يعنى نفسه وأمه الفريعة بنت
خالد بن قيس بن لوزان الحزرجية يفتخر بها . وقال ابن أبى

فقال يا رسول الله انك أنت الأعز وهو الأذل ، ووالله
لن يدخلها إن لم ترض عنه ، ثم جاء إليه (ص) ابنه
عبد الله بن عبد الله بن أبي ، فقال يا رسول الله أنه قد
باغى إنك قد أمرت بقتل أبي ، فإن كنت فاعلا فأمرني
آتيك برأسه لأني أخشى أن أقتل قاتل أبي فأكون قد
قتلت مسلماً بكافر . فقال (ص) لا بل نحسن صحبته
ما صحبنا ، وما لم يبد لنا صفحته ، ولما وصلوا إلى المدينة
اعترض عبد الله أباه عبد الله ، وقال له لن تدخلها قبل
رسول الله (ص) ولو أمرني الرسول بقتلك على مقالك
لكنت فاعلا ما أمرني به ، وهنا أبان (ص) أمر سوء
مغبة رأيه بقوله كيف رأيت يا عمر لو أمرنا بقتله أمس
لأرغفت له أنف حمدت مقامها اليوم . — يتبع —

الكويت
عبد الله على الصانع